سدلوى فيل

٣ قصائد

تواقت

الحب هنا مرمي فوق العتبة .
تهاونت قليلا ، واستحضرت الروح بآلية .
تدخل حدسي تحريفا
(هذا مألوف دوما)
حرنت جنينا يسبح في زاوية عصبية :
(ان احتاج الى ملاح امر مؤسف)
تهيأ صوتي لبكاء جذري (دون تصنع)
صوتي يتكون كالطحلب ،
صوتي يتموج خطافا ،
صوتي ..
همز جوادا وتفجر فوق العتبة .

* *

اكتشاف

كلماتك تتطاير ، ترتد ، كرات مطاطية .
طين في اذني ووجهي مغلق .
(لحظة أتشمم رائحة الزلزال أنوم نفسي مغناطيسيا)
اغوي طمعا جرحا ارعن سريا
لكن الصمت خبيث .
الدرب مقامرة وعرة ؟
(أشحذ تلف جناحي ، واحمل وجهك في عيني جفافا ، مجزرة نزقة)
الحب نواة معطوبة ؟
(تبقى احلامي تعويذة)
.. في باطن كفي اليسرى شامة
لم أرها من قبل .

* *

مسار

الجثة :
تتسلل ذاكرتي ، أفعى باردة ملساء :
(أتهجى خطواتي غافلة ، اتلمس نجما ، فلتة نور، قبرة ، تنزلق اللطمة فجأة : تتفرس عيناي فضولا فرحا اسود ، اجثو ، أدفن في بردى ميتا ، دمه في عنقي ، أدفع ديته وطنا ، يحمل وجهك ، يحمل أسماءك)
الكذبة :
وشمك سمتي
أحمله وهنا ،
وفصالك عمر يتبدد في الريح ، فراشات ميتة .
الضرورة :
العلق النهم يمص دمي .

باريس

قالت :« والله لقد سفل الله بك ، اذ جعلك لا تعرف الا بامرأة » ، قال كثير : « ما سفل الله بي ولكن رفع بها ذكري ، واشار بها امري ، واستحكم بها شعري ».

هؤلاء الشعراء العشاق ، العرب منهم والاوربيون ، يتشابهون جميعا بكون استجابتهم للحب ذات طبيعة متناقضة كما اسلفنا . فهم يحبون المرأة حبا حسيا يتمثل بانجذابهم نحو جمالها الجسدي، وما يترتب على ذلك من رغبة وشوق الى التمتع بذلك الجمال ،وغبطة ونشوة حين ينالون ، وحرقة ولوعة حين يحرمون . وهم في الوقت ذاته ، يتسامون بحبهم تساميا يمنح المجنون منهم سمة الموهوب الملهم الذي يرتل اياته الاخرون . لقد سمى التروبادورز سلوكهم هذا Courtesy او gentleness ولا ارى ما يوازي معنى هذين التعبيرين في تراثنا خيرا مما قالته السيدة سكينة واوجزته حين فضلت جميل بن معمر عاشقا وشاعرا :« لقد اغزلت وكرمت وعففت، فانت الذي جعلت قتيلنا شهيدا ، وحديثنا بشاشة، وافضل ايامك يوم تنوب فيه عنا وتدافع ،ولم تتعد ذلك الى قبيح » .

* * *

ان المقارنة التفصيلية التي عقدناها في بحثنا هذا بين التراثين الاوروبي والعربي ، لتشير الى التشابه الفكري بينهما في الامورالتي تخص الحب والمرأة ،وفي استجابة الرجل وموقفه من كليهما . هذا التشابه لا يمكن ان يكون عفويا او وليد المصادفات ،فنحن نعلم ان الادب العربي الذي عبر عن تلك الافكار كان سابقا للادب الاوربي الذي حواها ، وان وسائل الاتصال وطرق الاحتكاك المباشرة منها وغير المباشرة كانت متوفرة بين العالمين العربي والاوربي ، فليس بعيدا ان يتبنى الاوروبيون المثقفون للمعرفة والمتعطشون اليها انذاك، نقول ، ليس غريبا انيتبنى هؤلاء القوم افكار العرب واطوارهم مع الذي نعرفه من رقي العرب وتكامل حضارتهم على المستويات السياسية والاجتماعية والفكرية .وبعد ، فليس غريبا ان يكون حب التروبادورز صدى لحب العشاق العرب ،وان تكون اهاتهم وبسماتهم رجعا لاهات العذريين وهمسات قلوبهم .

بغداد

---

(١٠٧) ابن قتيبة ، ١ ، ٤١٥ .
(١٠٨) Valency , 35 .